3 المهمة السماوية

في ذلك اليوم بالذات، أقلعت سفينة أخرى، هي الغواصة 58 - I، من ميناء كيوره Kure على بعد 12 ميلاً إلى الجنوب الغربي من هيروشيما، ولكنها لن تبحر نحو فجر جديد إذ كان قائدها هاشيموتو يعلم أن ما من شيء يتربص باليابان سوى الظلام. ورغم ذلك، لديه الآن فرصة لجعل الشمس تشرق للإمبراطور، ولو للحظة عابرة فحسب. عسى أن تتمكن غواصته من تسجيل ضربة قاتلة.

كانت الغواصة 58 - I واحدة من بين ست غواصات تشكل أسطولاً صغيراً يسمى «مجموعة تايمون» Taimon Group التي كانت تتأهب لاصطياد فريسة أمريكية. كانت هذه المهمة تحولاً يائساً عن السياسة السابقة التي كانت تركز على استخدام الغواصات على نحو شبه حصري من أجل الاستطلاع وتزويد القوات التي تقطعت بها السبل على جزر مهملة. وكان هدف التعليمات الجديدة الصادرة للغواصات هو المساعدة في تأخير غزو أمريكي لليابان.

ولكن لم تكن تراود هاشيموتو أية أوهام. فقد استولت القوات

obeikandl.com

الأمريكية تقريباً على كل جزيرة ملطخة بالدماء تؤدي إلى اليابان، والآن بات من المحتم حدوث غزو ومعركة انتحارية نهائية ـ ما لم يحدث شيء لا يخطر ببال ألا وهو الاستسلام. وشعر هاشيموتو بعدم ارتياح وهو يفكر في ما هو غير وارد ـ فهل أصبح خائناً للإمبراطور؟

ولكن لم يكن ليرى في أعماق قلبه أي حل آخر وبدأ في التفكير به بطريقة عقلانية. وفي الامتداد اللامحدود من الخلود، فإن خسارة حرب هي نكسة مؤقتة، أي مجرد حافز لتحقيق مجد مستقبلي.

ولكن وجد هاشيموتو من الأصعب إضفاء عقلانية على إخفاقاته. حين كان ضابطاً مسؤولاً عن الغواصات أثناء الضربة التي وجهت ضد بيرل هاربر، أرسل واحدة من ست غواصات قزمة مسلحة بقذائف طوربيد، ولكن شأنها شأن الغواصات الأخرى، لم تحدث أية أضرار وفشلت في العودة. وعندما كان قائداً يعمل في جزر مارشال، شاهد ست مدمرات عدوة، ولكن لم يسمح له بمهاجمتها لأن مهمته كانت تقضي بإيصال مواد غذائية للقوات التي كانت تتضور جوعاً على جزر معزولة. وفي غوام، سعى إلى نسف حاملة طائرات، لكنه وجد أنها قد غادرت المسرح. وفي أيوجيما، شاهد سفينة حربية ضخمة ولكن لم يتمكن من مهاجمتها لأن بطاريات سفينته كانت تحتاج إلى إعادة شحن. وفي أوكيناوا، مكث سبعة أيام ينتظر انقشاع الضباب كي يستطيع إطلاق قذائف الطوربيد، ولكن دون جدوى. كان هاشيموتو منهاراً إذ بعد خمس سنوات من الحرب، أخفق في تسجيل إصابة قاتلة مؤكدة واحدة.

والآن انسابت غواصته مرة أخرى من رصيف الميناء وكانت ترفرف على الصاري راية بالية كتب عيها شعار إمبراطوري قديم يقول: «القانون فوق المنطق، والسماء فوق القانون». وكانت تقف على الرصيف حفنة من العسكريين تلوح بلا حماس بينما كان العديد من الأفراد يعزفون بالأبواق أنغاماً عسكرية متنافرة. واستذكر هاشيموتو رحيله في تشرين الثاني / نوفمبر السابق. كانت أصوات الجماهير تهدر بالدعاء، وكانت الزوارق المكتظة بالناس تحيط بالغواصة، وهم ينشدون بانسجام أسماء الأبطال المغادرين، وكان الطيارون الانتحاريون يجلسون في طائراتهم وهم يلفون لفاعات حول رؤوسهم ويلوحون بسيوف براقة.

ولكن كيوره، وهي أساساً قاعدة بحرية، قد تحولت إلى هيكل مدينة وإلى أنقاض جراء القصف بالقنابل، ولم يكن مزاج الكثير من الناس يسمح بالابتهاج في خضم الحقائق الرهيبة لهذه الحرب. وحتى منزل هاشيموتو دمر جزئياً، رغم نجاة زوجته وأطفاله الثلاثة بأعجوبة دون أن يلحق بهم أذى وانتقلوا للعيش مع أصدقاء، فقد تزوج من نوبوكو Nobuko في سنة 1937، حين كان المستقبل يبدو مشرقاً وذهبياً أشبه بمنظر طبيعي ياباني في الصيف. وكانت نوبوكو ابنة رجل أعمال موسر من أوساكا Osaka وترعرعت في محيط رائع، ولكنها أصبحت الآن مع الأطفال دون منزل. حاول هاشيموتو إبعاد محنة عائلته عن ذهنه، إذ ما من شيء يجب أن يصرف انتباهه عن مهمته الحالية.

كان هاشيموتو يحلم بالقتال من أجل الإمبراطور منذ كان يافعاً. وفور تخرجه من المدرسة الثانوية الثالثة في كيوتو في سنة 1927، قرر التقدم بطلب للأكاديمية البحرية. ورغم أن قلة من اليابانيين كانوا يذكرون آنذاك الانتصارات الإمبراطورية الماضية، كان هاشيموتو غارقاً في أمجاد فترة إعادة الإمبراطور إلى السلطة في سنة 1867، والتي كانت نقطة انطلاقة تحديث اليابان مما أتاح لها تحقيق انتصارها البحري العظيم على روسيا سنة 1905. تلك هي الروح التي جعلت اليابان عظيمة وهي نفس الروح التي كانت تحفز هاشيموتو. أجل، سيحاول الانضمام إلى البحرية مع أنها غدت أضعف وأقل هيبة من أي وقت مضى بعد معاهدة واشنطن البحرية سنة 1922، التي قيدت التسليح البحري العالمي.

ولكن كانت هناك عقبة واحدة ألا وهي والده. فقد كان رئيس الكهنة في أحد معابد شنتو Shinto في كيوتو، وهي مركز اليابان الروحي وكان يريد أن يصبح ابنه كاهناً مثله. كان الشاب من سلالة خط متواصل من الكهنة يعود إلى ما قبل سنة 1867، حين كانت كيوتو عاصمة اليابان. وأوضح الأب أنه يجب على أحد أبنائه الخمسة أن يحل محله بعد وفاته ويكمل تقاليد العائلة ويرأس الصلوات ويعتني بالمعبد وما يحيط به من أراض كانت ملكاً لأسرة هاشيموتو.

كان أحد الأبناء قد التحق بالجيش، وبدا موشتسورا كأفضل مرشح للكهنوت إذ كان يبدو أكثر حنواً وأكثر فهماً لتعاليم شنتو من

إخوته. وعلاوة على ذلك، ولكونه أصغر الأبناء سناً، لم يكن القول الفصل من نصيبه.

ولكن هاشيموتو الشاب قاوم. كان يؤمن إيماناً راسخاً بشنتو (طريق الآلهة)، وهي ديانة يابانية كانت تدعو أصلاً إلى عبادة الطبيعة، ولكنها كانت في جوهرها تدعو إلى عبادة حَبَل الأمة السماوي. وكان الإمبراطور، سليل الآلهة، إلهياً ـ معصوماً عن الخطأ ولا يمكن تحديه. غير أن الشاب جادل بأنه يمكنه كمحارب أن يخدم آلهه على نحو أكثر فاعلية مما لو كان كاهناً. وإلى جانب ذلك، لم يكن يرغب في أن يحيا الحياة الانعزالية والزاهدة لرجل الدين. وعلى أية حال أوضح أن الإعانة التي تقدمها الحكومة لكهنة شنتو ضئيلة جداً لا تكاد تكفي لإعالة أسرة هاشيموتو المكونة من أحد عشر فرداً. ولذلك فإن راتبه من البحرية سيزيد دخل الأسرة كثيراً.

رفض والده الرضوخ وقال إن على أبنائه الآخرين المساهمة في خدمة الوطن بينما هاشيموتو الشاب مدين لأسلافه بأن يصبح كاهناً.

وجد موشتسورا نفسه بين التزامين متضاربين. ضمن النظام الاجتماعي الياباني التقليدي، الذي يشرف عليه الإمبراطور، فإن كل فرد من الأفراد مثبت في مكانه حسب طبقته الاجتماعية، ومهنته، ومركز أسرته، وسنه، وجنسه، ويظل هناك من خلال شبكة معقدة من الالتزامات المتشابكة. ويتعين عليه طيلة حياته أن يسدّد باستمرار للإمبراطور لقاء طيبته (دَيْن اسمه تشو Chu) ولوالديه لقاء طيبتهما

(دَيْن اسمه كو Ku). ويستحق هؤلاء الدائنون المبجلون طاعة وتفانياً مطلقين.

وها هو هاشيموتو الآن أمام خيارين: إمّا أن يسدِّد الدَّيْن لوالديه أو للإمبراطور. وعليه التهرب من أحد الالتزامين للوفاء بالالتزام الآخر. إنه خيار مؤلم. يأتي الإمبراطور بالطبع في المقام الأول لكونه سليل الآلهة بينما مآل والديه الفناء، رغم حبه واحترامه لهما، مآلهما الفناء. أخبر هاشيموتو والده بكل تهذيب أن عليه مخالفة أوامره هذه المرة. خَفَّ كرب الأب نوعاً ما بالتفاني الذي أظهره ابنه تجاه الإمبراطور ومنحه موافقته في آخر الأمر. ومع ذلك، لم تكن سعادته بقرار ابنه الالتحاق بالبحرية أشد من سعادة الكابتن مكڤاي بفشل ابنه في البقاء في البحرية.

التحق هاشيموتو بلهفة بالأكاديمية البحرية على جزيرة إيتاجيما Eta Jima بعيداً عن هيروشيما وتخرج في سنة 1931. وبعد سنوات عديدة من الإبحار على متن كل شيء من مدمرات إلى قانصات غواصات، أرسل إلى مدارس قذائف الطوربيد والغواصات التابعة للبحرية لتعلم كيفية القتال تحت الماء أيضاً. صعد في سنة 1941، على متن غواصة بصفة ضابط لقذائف الطوربيد. وكان التوقيت مثالياً. انزلقت غواصته خلسة مع أربع غواصات أخرى عبر المحيط الهادىء، وذلك قبيل منتصف الليل بتاريخ 6 كانون الأول / ديسمبر. وتوقفت الغواصات وأفسح هدير المحركات المجال لقرع الطبول

والصنوج من حفلة إذاعية لموسيقى الجاز على شاطىء وايكيكي المضاء بمصابيح النيون.

وعند الفجر أطلقت كل غواصة رئيسة غواصة قزمة تحمل رجلين تجاه الأسطول الأمريكي الراسي في بيرل هاربر بينما أقلعت طائرات يابانية، من على متن حاملات الطائرات وانقضت على أهدافها. كانت الأضرار مفجعة ولكن الغواصات القزمة لم تحقّق شيئاً مشرفاً إذ لم تستطع أي منها إغراق سفينة بواسطة قذائف الطوربيد التي أطلقتها كما أنها لم ترجع كما كان مفترضاً لها، وعادت الغواصات الأم إلى اليابان ذليلة وسط بهجة عامة بتحقيق النصر.

لم يستطع هاشيموتو أبداً التخلص بالكامل من فقدان الاعتبار الهائل الذي لحق به في أعظم لحظات التاريخ الياباني، واعتبر ذلك فشلاً شخصياً، لأنه بصفته الضابط المسؤول عن قذائف الطوربيد، أطلقت الغواصة القزم رغم مشكلة لحقت بمحركها في اللحظة الأخيرة. ولم يسترد أسطول الغواصات الياباني اعتباره أبداً. فقد كان من المتوقع أن يلعب في بيرل هاربر وفي المعارك القادمة دوراً مساوياً لدور سلاح الجو، ولكن من يستطيع الآن الاعتماد على هذه الذراع البحرية «المتخبطة؟» ولن ينال قط الأولوية العليا في التخطيط الاستراتيجي ولن يكون في المقدمة لدى تخصيص الأموال والمعدات. لم يستخدم أسطول الغواصات استخداماً حكيماً.

في الأشهر الأولى من الحرب حين كانت البحرية اليابانية تهاجم

باستمرار، صدرت الأوامر لهاشيموتو وقادة الغواصات الآخرين بمهاجمة سفن الأعداء بقذائف الطوربيد بصرف النظر عن المخاطر أو المنطق التكتيكي بدلاً من مهاجمة خطوط الاتصالات مثلما كانت تفعل الغواصات الأمريكية. وتمخضت عن هذه الاستراتيجية القديمة بعض الانتصارات الخادعة المبكرة، ولكنها ألحقت خسائر فادحة بأسطول الغواصات بحيث إنه لم يعد يفعل أكثر من تزويد القوات التي تقطّعت بها السبل على الجزر المعزولة ـ رغم أنه كان من الأفضل لهذه القوات الانسحاب كي تستطيع أن تحارب في أماكن أخرى. كان هاشيموتو ساخطاً. كان الأميرالات والجنرالات يديرون حرباً استناداً إلى التكتيكات البطولية لأسلافهم الساموراي ولكنها تكتيكات غير مرنة ومفرطة في البساطة بدون أي تخطيط عملياتي مفصل ودون إيلاء اعتبار كاف للأساليب العلمية.

اتضح لهاشيموتو أكثر فأكثر أن القيادة العليا قد أساءت كلياً تقدير قوة سلاح الغواصات الأمريكي. وكانت تتوقع أن تقهر معظم آسيا قبل أن يتمكن الأمريكيون من استجماع قواهم بعد بيرل هاربر وغيرها من الهزائم الأولية، ولكنها لم تأخذ في الحسبان الروح الأمريكية أو الغواصة الأمريكية المرنة الاستخدام. أما الغواصة اليابانية فإنها حتى حين تستخدم بذكاء، تعوزها المعدات الحديثة اللازمة لأداء مهمتها على نحو ملائم. فقد كانت أجهزة السيطرة فيها معقدة وغير ملائمة وكانت محركاتها شديدة الاهتزاز والظروف المعيشية على متنها مكتظة إضافة إلى سوء المرافق الصحية. وبالطبع، كانت المعنويات في

الحضيض. ألم يقسم أسلاف هاشيموتو بالتعلُّم من الغرب كيف يهزمون الغرب؟

في منتصف سنة 1944، تجدّدت روح هاشيموتو المعنوية نوعاً ما حين أسندت إليه مهمة تجهيز وقيادة غواصة جديدة ضخمة هي I - 58، التي كان يتوقع منها، جنباً إلى جنب مع غواصات أخرى من نفس الطراز، استنزاف القوة البحرية المتنامية للولايات المتحدة. ولكن ظلت تساوره الشكوك وبخاصة بعد أن قرر الأميرال المسؤول عن قيادة أسطول الغواصات فك أجهزة الرادار السطحية المركبة فيها لكونها «عديمة الفائدة». صعق هذا القرار هاشيموتو، وبعد أن طرق أبواباً عديدة وقام بسلسلة طويلة من الانحناءات، نجح أخيراً في إلغاء القرار. دهش زملاؤه الذين لم يكن معظمهم يجرؤ على التشكيك في حكمة رؤسائهم.

يبلغ طول الغواصة I - 58 355 قدماً وعرضها الأقصى 30 قدماً وكانت أكبر من أية غواصة أمريكية وذات سرعة كبيرة على السطح تصل إلى 17 عقدة. ويمكنها أن تطلق في آن واحد ست قذائف طوربيد طراز 95، يمكن أن تصل سرعتها إلى 48 عقدة وبمدى خمسة أميال تقريباً مما يجعلها أشد فتكاً من أفضل قذائف الطوربيد الأمريكية.

كانت هذه المقذوفات (الصواريخ) نسخة من المقذوفات لونع لانس Long Lance، طراز 93 التي تستخدمه السفن السطحية التي أغرقت أو أعطبت عشرات من السفن الأمريكية. وحينما يعثر رادار

هاشيموتو الثمين على العدو، كان يحدوه أمل بأن تضرب هذه القذائف المسيرة بالأوكسجين وذات طول 30 قدماً الولايات المتحدة فيما إذا لم يتدخل رؤساؤه.

ولكن قبل أن يتم هاشيموتو تجهيز سفينته، بدأت تتصاعد خسائر اليابان براً وبحراً على نحو مثير، وأدى سقوط سايبان إلى هز كيان القيادة العليا هزاً عنيفاً. أنجب الإحباط لدى القيادة العليا المقاتل الانتحاري الكاميكازي الذي ينقض بطائرته على السفن الأمريكية والكايتن (الطوربيد البشري) الذي يضرب من تحت الماء. لم تكن فكرة الكايتن جديدة، فقد استنبطت بعد فترة قصيرة من بيرل هاربر عندما فشلت الغواصات القزمة التي ساعد هاشيموتو في توجيهها في إلحاق الضرر بالأسطول الأمريكي. وبما أن بحارة الغواصات القزمة لم يعودوا إلى الغواصة الأم على أيّة حال، فلماذا لا يوضعون داخل قذائف الطوربيد مع التمنيات لهم بالتوفيق وإرسالهم إلى السماء في رحلة وحيدة الاتجاه؟

تأمل العسكريون اليابانيون الفكرة ملياً. كلا، قرروا في البداية أن لا داعي بالفعل لإرسال رجال في مهمات انتحارية. ولكن بما أن الأمة بأسرها على حافة الإبادة، بدت معارضة قليلة لمتطوعين انتحاريين من أجل الإمبراطور وأجداده الإلهيين. ولربما من أجل تهدئة ضمير البحرية، يمكن بناء جهاز قذف داخل الطوربيد. ولكن أين المتطوع الذي سوف يستعمل ذلك الجهاز ويحرم نفسه من مجد أبدي؟ وأي متطوع سوف يختار أن يقاسي من هكذا فقدان مروع لماء

الوجه؟ على أية حال، كان الوقت متأخراً للغاية ليترك مصير اليابان للطوربيد طراز 95 وكان يتعين ردف هذه المقذوفة بطوربيد بشري، والترجمة الحرفية لكلمة «كايتن» هي «تبدل السماء» وهو تعبير ملائم، إذ سيكون تأثير رجال الكايتن على مسار الحرب ساحقاً لدرجة أن السماوات سوف تتحرك.

أرعبت هذه الاستراتيجية هاشيموتو، إذ إنها أكدت موقف اليابان المفجع، وترمز إلى نوع التفكير الذي كان ينبغي أن ينتهي عندما استعاض الساموراي عن سيوفهم بالمدافع. لا يمكن محاربة العلم باللجوء إلى وسائل تحايل بطولية. وإلى جانب ذلك، لماذا ينبغي اختيار أناس معينين ليموتوا من أجل أن يحيا آخرون.

ولكن أطاع هاشيموتو الأوامر رغم تردده. فقد اختار أربعة طوربيدات بشرية في قاعدة تدريبهم على جزيرة أوتسوشيما Otsushima قرب كيوره، وفي أوائل كانون الثاني / يناير 1945، هيأهم لشن هجوم على سفن راسية في غوام. وبينما كان الكايتن الأول يستعد للزحف داخل حجرة الطوربيد ـ التي كانت مجهزة بمقعد ومنظار للأفق (بيرسكوب) ومفاتيح تحكم ـ لم يستطع هاشيموتو البقاء صامتاً وقال للكابتن: «يؤسفني أنك ستموت في محاولة لإنقاذ البقية منا».

حملق الكايتن في وجه قائده باحتقار وأجاب قائلاً: «لا تقل شيئاً كهذا. إن هذا النوع من المواقف هو الذي خلق صعوبات في هذه

الحرب. عليك البقاء حياً كي تستطيع إطلاق مزيد من الطوربيدات البشرية».

تأثر هاشيموتو تأثراً بالغاً ويبدو أنه انتابه إحساس طفيف بالخجل والذنب. لعله كان رغم كل شيء واقعياً للغاية، خاصة وأنه ابن كاهن من الشنتو. ومع أنه لم يسدّد بعد تقريباً أياً من دينه للإمبراطور، كأن هذا الشاب يضحي بحايته.. حاول هاشيموتو في الوقت نفسه التخفيف من حزنه على الشاب (ومن ذنبه للإحساس بالحزن) بنوع من الإيمان بالقضاء والقدر. ألم تأمر القيادة العليا الجيش والبحرية بالقتال حتى موت آخر رجل؟ عاجلاً أم آجلاً، سينضم هو وطاقمه إلى رجال الكايتن على أية حال.

أجل، سوف يرسل رجال الكايتن إذا كان عليه أن يفعل ذلك لأنه يمكن الاعتماد على سلاحهم ضد الأهداف البعيدة أكثر مما يعتمد على الطوربيد المسيَّر بدون إنسان. لكنه يفضل هذا النوع الأخير، ليس لأنه سوف ينقذ حياة بشرية بالطبع، ولكن لأنه طوربيد أفضل (رغم أنه لا يصيب سوى أهداف على مدى قصير نسبياً). أما طوربيد الكايتن بطول 54 قدماً، مع أنه أكبر، ليس كفؤاً جداً في واقع الأمر. على الرغم من وجود رجل بداخله، غالباً ما كان هذا التابوت، الذي يحمل رأساً حربياً في مقدمته يفشل في إصابة هدفه ويتعين أحياناً إعادة توجيهه مرات كثيرة قبل تسجيل إصابة، أو قبل أن يصاب هو نفسه. وتساءل لماذا لم تدخل البحرية تحسينات عليه كي يستطيع الكايتن الموت بطريقة أكفأ.

وهكذا أضفى هاشيموتو عقلانية على مسألة عدم استعمال رجال الكايتن العاملين بإمرته. سوف ينقذهم إن استطاع مهما كان تصميمهم على الموت.

بينما كان هاشيموتو يكافح لكبح حزنه على المصير المحتوم لرجال الكايتن، لم يكن مساعده الكابتن توشيو تاناكا Toshio Tanaka يعاني من مشكلة كهذه. فقد كان مسؤولاً عن قذائف الطوربيد، الحديدية والبشرية على السواء، وأن إطلاق أي منهما هو بكل بساطة مهمة مثل أية مهمة أخرى. ومع هذا، فإن رجال الكايتن متطوعون يعرفون ماذا يفعلون.

كان تاناكا يحب رفاقه الكايتن ويكبر فيهم روح التضحية ولكنه لم يبد أي أثر من الحزن قبل انطلاقهم إلى الفردوس. وقد استمتع بصفة خاصة في حفلة وداع أقيمت لهم قبل مهاجمة السفن في غوام. وقضم الضيوف وأفراد الطاقم سمك الأنكليس واستمتعوا بتعاطي الساكي الذي أرسله الإمبراطور نفسه، وامتزج الضحك الناجم عن سرد النكات مع التجشؤات المنبثقة عن إتخام المعدة. أمضى الجميع وقتاً ممتعاً رغم أن مرح هاشيموتو لم يكن مقنعاً تماماً. ومن ثم طلب تاناكا من رجال الكايتن بذل أقصى جهدهم وأرسلهم إلى رحلتهم السماوية بابتسامة براقة كشفت عن نابين طويلين.

حسد تاناكا رجال الكايتن نوعاً ما لأنهم سيموتون بعد قتلهم عدداً أكبر بكثير من الأعداء. لم تكن المسألة مجرد كسب حرب أو حتى البقاء على قيد الحياة، ولكنها كانت الأخذ بالثأر. لقد قصف

الأمريكيون تقريباً كل مدينة يابانية وحولوها إلى رماد وبات منزله في كيوره حطاماً. وقد سمع أنهم أطلقوا نيران رشاشاتهم على صيادي سمك يابانيين بسطاء بعيداً عن سواحل اليابان. يا للهمجيين! يريد فرصة لقتل حمولة سفينة منهم بنيران الرشاشات. ويستطيع رجال الكايتن الآن الأخذ بالثأر وليس فقط على نحو مجرد من مسافة بعيدة. وستلطخ دماؤهم سفينة العدو، وتتلاشى عظامهم تدريجياً فوق قبر السفينة.

كثيراً ما كانت تحرك تاناكا رغبة في الثأر من الأعداء، ومن الغرابة بمكان أن هذه السمة ساعدته في دفعه إلى الترقية. حين كان طالباً في المرحلة المتوسطة في مدرسة في إحدى المدن في جنوب اليابان، تقدم إلى امتحان يؤهله للالتحاق بالمرحلة الثانوية ولكنه رسب. وأراد أن يثبت لنفسه أنه كان بالفعل متفوقاً على أولئك الذين نجحوا في الامتحان ـ وبنفس القدر من الأهمية ـ كي يثأر من أولئك الذين تسببوا في رسوبه ويسبب لهم فقدان ماء الوجه. لذلك، قرر أن يتقدم إلى امتحان الانتساب للأكاديمية البحرية. وحدق في الكتب بجد واجتهاد لمدة سنة، ونجح في هذا الامتحان الذي يتقدم إليه عادة خريجو المدارس الثانوية دون سواهم.

غير أن هموم تاناكا ومشاكله لم تنته. ولكونه الطالب الأصغر في الأكاديمية، كان الأكبر منه سناً يبرحونه ضرباً بسبب أي خرق طفيف للانضباط. كره النظام إلى أن أصبح هو طالباً متقدماً يتمتع بمزايا ضرب الآخرين. ولدى تخرجه، كان مستعداً تمام الاستعداد للتعامل

مع العدو، ولم يكن يحتاج إلى ابتهالات لصالح الإمبراطور من أجل استلهام ولعه بالدم.

كان تاناكا، شأنه شأن هاشيموتو، مغالياً في القومية ولكن وطنيته كانت أقل تصوفاً وأكثر عدوانية من قائده. إنه أيضاً مستعد للموت من أجل الإمبراطور ولكنه كان يعتبر العاهل رمزاً لليابان أكثر من كونه سليل الآلهة. كان هناك احتكاك بسيط بين الرجلين. فقد كان تاناكا البالغ من العمر 27 سنة يعتبر هاشيموتو الذي يكبره بتسع سنوات، بمثابة الأخ الكبير. وكان يتذكره منذ كان طالباً في كلية الغواصات حين كان هاشيموتو يعمل مدرساً فيها. وكان يرى في هاشيموتو رجلاً جديراً بالإعجاب ـ رجلاً ذكياً وصلباً ولكنه منصف. ومع أنه لم يكن يدخن ولم يتعاط المشروبات، كان يحظى باحترام رفيع من قبل أولئك الذين يعتبرون هذه الشوائب بمثابة علامات رجولة. ونادراً ما كان هاشيموتو شأنه شأن نظيره الأمريكي الكابتن مكڤاي، يؤنب رجاله الذين يطيعونه لأنهم يكنون له الاحترام.

كان تاناكا فخوراً حقاً بخدمته تحت إمرة قائد يتمتع بهذه الخصال الأصيلة. ومع ذلك، تمنى لو أن هاشيموتو لا يسمح لخصاله بعدم الثأر من الناجين من أي سفينة قد تغرقها الغواصة 58 - ا. وقد اشتدت هذه الأمنية لديه عندما انسابت الغواصة بهدوء من ميناء كيوره، مودعة بأنغام الأبواق لاصطياد فريسة في أعماق المياه، ربما للمرة الأخيرة.

كان تاناكا واقعياً بما فيه الكفاية ليدرك أن اليابان قد منيت بالهزيمة وكان عقلانياً بما فيه الكفاية ليدرك أن القتال حتى آخر رجل

ضرب من الجنون، ولكنه كان متعطشاً على الأقل ليتذوق طعم الجزاء قبل استسلام اليابان. فقد دمرت مدن كثيرة، وقلة بقيت سالمة إحداها هيروشيما المجاورة. وقف على سطح الغواصة وهو يحدق في أفق كيوره الآخذ في الانحسار، وكانت مبانيها نصف مدمرة وناتئة في السماء أشبه بأصابع مشلولة.

وتساءل بمرارة: «ترى أية مدينة ستكون التالية؟».

obeikandl.com